الاثنين 26/11/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الإنسان (2)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

فهذا هو الدرس الثاني في تفسير سورة الإنسان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، ﴿الم تَنْزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾**، [رواه البخاري].

أي هذه السورة مهمة وفيها أمور يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلم أن يؤكد عليها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، [الإنسان: 1-12].

هذه الآيات التي سمعتم في مطلع سورة الإنسان فيها قصة هذا الوجود ففيها قصة المبتدأ وقصة الحياة التي نعيش وقصة المنتهى في أسطر قليلة في القرآن الكريم.

1- **أما قصة المبتدأ**: فقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، **الجواب**: نعم جاء عليك حين من الدهر ما كنت فيه شيئاً مذكوراً.

ليس لم تكن شيئاً له قيمة بل لم تكن شيئاً على الإطلاق، وما كنت تذكر على هذه الأرض.

أحياناً الإنسان يكون موجوداً لكن له قيمة بسيطة، بحيث لا يؤبه له، لكن الآن تقول الآية ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ فحتى ذكر لم يكن لك على هذه الأرض على الإطلاق، فضلاً عن الوجود، وفضلاً عن القيمة، فإذا وجدت لنفسك قيمة فاذكر مبتدأك، بأنك لم تكن شيئاً مذكوراً على الإطلاق.

2- **وأما قصة الحياة التي تعيش**: ففي الآيتين التي تلتها ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، أي نطفة مختلطة من نطفة من الأب وبويضة من الأم، اجتمعتا واختلطا فشكلتا بويضة ملقحة، وفيما بعد تمايزت وتكاثرت حتى صرت إنساناً.

﴿نَبْتَلِيهِ﴾ .

وهذا هو سبب وجودك في هذه الحياة.

قال العلماء: نبتليه أي: نختبره.

وقالوا: نبتليه نكلفه.

فسبب وجودك أن تحمل تكليف الله عز وجل، فنحن قوم لم نلق في هذه الأرض عبثاً ولا هملاً، فالله لم يخلقنا في الأرض ورمانا، وإنما كلفنا فأرسل لنا شرعاً من أوامر ونواهي، لأجل أن نسعد.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ .

هناك طريق للخير وعاقبته مرئية لديك، إما من خلال كلام الله تعالى، وإما من خلال ما تحياه في هذه الأرض فيريك الله عاقبة أهل اليمين، فيتخذ سبيل أهل الحق فيشكر ربه، ويستخدم ما أنعم الله به عليه في الطاعات فله عاقبة، ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ فالله لا يجبر أحداً على شيء.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ .

بين لك السبيل، سبيل الخير وسبيل الشر وأنت تختار فإما أن يلتزم سبيل الخير فهو شاكر، وإما يلتزم سبيل الشر فهو كافر.

3- **وأما قصة المنتهى الذي يذهب إليه:** ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾.

فالآن جعل الله نتيجة وخاتمة وعاقبة ونهاية لهؤلاء الذين أنزلنا عليهم تكليفاً فما استجابوا ولا التزموا ولا ائتمروا بالأمر ولا انتهوا النهي بأن له ﴿ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾.

أحياناً هناك في مشافي الأمراض العقلية يوثَق المريض بالسرير فإذا فَقَدَ عقله بالكلية يخافون أن يؤذي نفسه، أو يؤذي غيره؛ لذلك وضعوا له أغلالاً وسلاسل.

فالكافر مثله بالضبط فهو كمثل فاقد العقل.

الكفر لغة: التغطية، وسمي المزارع كافراً لأنه يغطي البذار تحت الأرض، وتسمى القرى كفراً لأن المزارع يغطي فيها البذر تحت الأرض، فنقول: كفر سوسة، وكفر بطنا...

فمعنى الكافر بنفس معنى الجنون، فالكافر أعطاه الله عقلاً فغطَّاه ولم يستخدمه، وعوضاً أن يشكر النعمة التي أعطاه الله إياها، غطى عقله واتبع شهوته وهواه، وكفر.

رجل متزوج وعنده امرأة بالحلال يتركها ويمضي نحو القذارة والوساخة والشؤم، أليس ذلك غبياً؟ أليس الإنسان الذي يغطي عقله، ويترك كل الفضائل والقيم والأخلاق والعفة والطهر والحلال الذي بارك له كل الناس بما يفعل، واتجه نحو الحرام الذي لو أن قطة تحركت لخاف منها؟

أليس غبياً وأحمقاً ورامياً للعقل تحت الحذاء ومتبعاً للشهوات والأوحال والأوساخ؟ فهذا هو الكافر هو إنسان الذي أعطاه الله رزقاً بالحلال، فإذا هو يترك الحلال ويمضي باتجاه الحرام.

إنسان فتح الله تعالى له في العمل أبواب الحلال ما لا يعد ولا يحصى، ولو عددنا الحِرَفْ الحلال في الشريعة الإسلامية لوجدناها مفتوحة، هناك مئات الآلاف من الحرف الحلال وحرف الحرام معدودات: من بيع الخمور، وما يتعلق بها... والربا وما يتعلق به... والفاحشة وما يتعلق بها... فإنسان يترك كل هذه المساحة البيضاء ويحشر أنفه في المنطقة المحظورة الحرام فهذا لا يوجد به جنس العقل.

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا ﴾.

يأتمر بالأمر وينتهي بالنهي وبالتالي يسعد في الدنيا ويسعد في الآخرة.

يعني بر الوالدين يسعد أو يشقي؟

هو يسعد الابن والأب والأم والأسرة والمجتمع.

بينما عقوق الوالدين يزعج الابن فهو غير مرتاح لأنه يعارض الفطرة التي خلق عليها من الخير وفعل الخير، ويزعج أمه وأبيه والأسرة والمجتمع في ضيق، لأنه مجموعة أسر.

والذي يكون عاقاً بأمه وأبيه لن يكون باراً بصاحب العمل.

أعرف أخ صاحب شركة إذا كان عنده عامل عاق لا يوظفه.

وأنا أنصحكم يا أيها الإخوة إذا رأيتم إنساناً باراً فثقوا به فإن أردت مشاركته فشاركه لأنه موفق وسيربح وسينوبك من ربحه، وإذا ارتفع فسترتفع معه.

بينما إذا كان الإنسان عاقاً فاتركه ولو كان خبيراً، أو لديه مواصفات عالية جداً، لأنه لا بُدَّ لهذا أن يخذل فنخاف أن تخذل بخذلانه.

وهذا ليس على سبيل الحلال والحرام بل على سبيل النصيحة .

عَنْ أَبِي سعيدٍ الخُدريّ رَضِي اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ, فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ, وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))**، [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وعَنْ جَرِيرٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ))**، [الإمام أحمد].

هذا الحديث له معناً روحي إيماني أن عقوبة ترك إنكار المنكر أن يعم العقاب الناس، لكن له معنى تكتيكي، وهذا المعنى التكتيكي الآن نعيشه في هذه الأزمة التي نعيش وقد عمَّت البلد كلها من أقصاها إلى أقصاها، الغني والفقير، والصالح والطالح، والكبير والصغير، والمؤمن وغير المؤمن، ما سببها؟

سببها أن هناك منكرات كان بالإمكان قبل أن تحدث الأزمة أن تتغير بكلمة، أما وإنك قد سكت عن إنكار المنكر، فهذا المنكر كبر وترعرع حتى صار بحجم يحتاج تغييره أن يذهب البلد كله باتجاه عقاب وهاوية.

وهذا الفساد لا يخص شخصاً واحداً، ولا عشرة، ولا خمسين، ولا خمسمائة، ولا عشرة آلاف، ولا مائة ألف...

ألا تعجبون في لُب هذه الأزمة هناك بعض الموظفين في الدوائر العامة لا يُسيِّر المعاملة إلا برشوة، وبعض العاملين في بعض دوائر المرور لا يفعل إلا ما فيه الرشوة، وبعض العاملين في القصر العدلي لا يتحرك إلا برشوة.

ألا تعجب من شاب في هذا الوقت ما زال يؤذي بنات لا تحل له وأبواه يرونه، وإخوته يرونه، وعمه يراه، وخاله يراه، وكلهم ساكتون الفساد بعد ذلك؟!

عندما يكبر ويعم الفساد فسيدفع الجميع الثمن، أما إذا رأيت خطأ صغيراً في بيتك فأصلحته، وآخر رأى خطأ في معمله فأصلحه، ورجل رأى خطأ في شركته فأصلحه، ورجل رأى خطأ في وزارته فأصلحها... عندها ينتهي أمر الفساد ولا يحتاج العقاب أن يعم كل هؤلاء الناس.

كل الناس سيدفعون الثمن في حال السكوت عن المنكرات حتى عندما كفر غير المؤمنين بأوامر الله عز وجل دفعت الكرة الأرضية الثمن، وكبر دليل الأزمة الاقتصادية التي ألقت بظلالها على كل العالم، **ما سببها؟** سببها الفوائد البنكية، بالإجماع من المؤمنين وغير المؤمنين، فأصابت هذه الأزمة الناس كلهم، وما زال هناك أناس مُصِرّين على الأعمال الربوية.

الفاحشة والرذيلة والشذوذ الموجودين في الأرض وجودهم سيؤذي الكرة الأرضية كلها، لأن هؤلاء السيئين والشريرين والذين انزاحوا عن الفطرة السوية أصبحوا محتاجين لبرلمانات، والآن هناك اتفاقيات دولية لخدمة هؤلاء الشاذين ولهم مواقع على الانترنت، ولهم جمعيات، ويريدون أن يبسطوا ما يذهبون إليه في كل العالم.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا**))، [البخاري].

فيقيم الله القيامة على هذه الأرض لأن هذه الأرض لم تعد تستحق المعيشة، ولا أن يعاش فيها، فلا بد لهذه الأرض أن تحرق.

يا أيها الإخوة يحتاج كل واحد بينا إلى مراجعة نفسه، هل أنت من الشاكرين أم أنت من الكافرين؟

الكفر نوعان:

1- **كفر عام**: أي إذا قال أحدهم: لا أريد دين الله على الإطلاق، ولا يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس له علاقة بالقرآن الكريم.

2- **كفر خاص**: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، [آل عمران: 97].

أي يجب على المستطيع للحج أن يحج وسمى الله من لم يحج كافراً لأنه لم يرض بأمر الله بالحج.

هناك أخت مصلية وصائمة وقائمة وذاكرة ومحبة لله وبارة بزوجها وأولادها لكن بالحجاب هي كافرة، لأنك لا ترضين بالحجاب.

هناك تاجر مصلي صائم مزكي بار يكفل الأيتام ولكن إذا وصلنا للبنوك الربوية فهو كافر بالبنوك فيتعامل بالربا.

شاب يحضر الدروس ويصلي ويصوم وبار بأمه وأبيه مجتهد بدراسته ولكن علاقته مع النساء فيها كفر، يقول: أنا فقط بهذا الأمر اجعلني مع الكافرين.

بعض الفتيات تحضر المجالس ومصلية وصائمة وذاكرة لكن بر الوالدين هناك كفر فوالديها غير راضيين فهي كفرت ببر الوالدين.

هناك شاب خير ويعمل الخير لكن له أصحاب سيئين جداً ويلازم صحبتهم، يعني أنه ليس شاكراً بمسألة صحبة الصالحين.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ .

بالضبط كما يوثق المجنون خوفاً أن يؤذي نفسه أو من حوله، لكن هذا التوثيق للحساب وليس للعلاج.

كلنا تزل أقدامنا والله يعرف الإنسان بأنه مخطئ وأن قدمه تزل فليس هناك إنسان معصوم غير الأنبياء، لكن هناك فرق بين أن تزل قدمك، وبين أن تخطط للوقوع في المعصية، هناك فرق بين أن يصيبك حالة من الغضب فتتكلم كلمة غير مناسبة، وبين أن يكون لديك قاموس للكلمات السيئة تحفظها، هناك فرق بين أن تكون بجو معين تكذب بسبب من الأسباب، وبين أحد قبل أن ينام يقول ماذا سأقول لفلان الذي يريد أن يأخذ دفعة... فهذا لا يستوي مع هذا.

ممكن أن يكون شاب يمشي في الطريق فتمر فتاة فعينه تذهب باتجاهها ويبقى شيطان يلاحقه دقيقة أو دقيقتين، فقد زلت قدمه ثم يعود ويستغفر، لكنه لا يستوي مع شخص يضع

بجواله أرقام فتيات لا تحل له ومحتفظ بالأرقام فإذا خطر بخاطره إحداهن اتصل بهن، فلو مات هذا الذي يحمل الأرقام وعرض هذا الجوال على رب العالمين فماذا ستقول له؟

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾

الأبرار: الذين بذلوا البر للوالدين وللأهل وللطاعات وللعباد وللبلاد .

كافورا: ماء مخلوط بطيب الكافور .

تفجيراً: تمشي معهم، فالعيون والأنهار في الجنة ليست في أخاديد، وإنما تمشي على وجه الأرض معك دون أن تخرج عن أطرافها التي حددها الله لها .

﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ .

هؤلاء في الدنيا كانوا إذا نذروا لله نذراً وفوه، وكانوا يخافون يوم الحساب.

مستطيراً: أي ممتداً لا ينقطع.

فمن الممكن أن يدعو صديق صديقه لجلسة في الحرام، ولكنه يخاف ﴿ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾، ويقول: أنا أخاف من الله ولا أريد الذهاب.

ممكن أن يعرض أحدهم عليك مال في الحرام لكنك إذا خفت ﴿ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾، تقول له: أنا لا أستطيع أن آخذ المال.

ممكن أحدهم أن يدعو رجلاً لأذية الآخرين لكن إذا كان يخاف ﴿ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ يقول: أنا لا أستطيع أن أؤذي أحداً فإني أخاف.

نحن نخاف من الله ومن يوم ﴿ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ والله وصف المؤمنين بأنهم يخافون ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾، [آل عمران: 175]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾، [النازعات: 40-41]، أما إذا كان الشخص لا يخاف فهناك مشكلة ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾، [النازعات: 37-39].

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ .

هناك ملاحظة بهذه الآية قال الله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ ذكر ت لكم بأن العرب كانت تحب إطعام الطعام فجاء الإسلام وعزز هذا الشيء، وهناك سر في إطعام الطعام.

أحياناً إنسان يكون لديه مريض وعجز الأطباء عن شفائه فيطعم الطعام على نية شفاء مريضه فيشفيه الله.

كل فيها خير فيمكن أن تكفل يتيماً بمال، أو تبني مدرسة شرعية، أو تساعد ببنائها، ممكن أن تهدي مصحفاً لرجل.. فكلها أعمال جيدة لكن إطعام الطعام بالشريعة له سر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ:** ((**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**))، [البخاري].

موضوع إطعام الطعام وسقي الماء له سر إذا نوى الرجل أو المرأة به تقرباً إلى الله عز وجل، وأهل الشام حفظوا هذا الأمر ويتفننون في فعل إطعام الطعام للأغنياء والفقراء.

لذلك إذا وجدت أمراً عسر عليك، أو ضيقاً في صدرك، أو عدم خشوع في صلاتك، أو قبضاً في أمورك... فأطعم الطعام فإن له فضيلة في الإسلام.

قال العلماء: **على حبه له ثلاثة معان:**

1- إما يطعمون الطعام على حب الله تعالى.
2- أو يطعمون الطعام على حبهم للطعام.
3- أو يطعمون الطعام على حب إطعام الطعام.

هناك أخ كان إذا دعاك لطعام تشعر وأنت تأكل أنه فرح جداً لأنك تأكل عنده.

قال لي بعض الإخوة -وهو إنسان مريض لا يستطيع أن يأكل أي شيء بل يأكل من طعام محدود -: ذهبت إلى مطعم فشاهدت رجلاً يأكل على طاولة ثانية بنهم وشهية، فلما رأيته يأكل فرحت له، ثم ناديت للنادل، وقلت له: حساب تلك الطاولة عَلَيَّ، فأتى بالحساب ودفعته، فلما انتهى الشاب من تناول الطعام وطلب الحساب، قالوا له: الحساب دُفع، قال من دفع؟! قالوا: الأخ الذي يجلس على تلك الطاولة، فلم يعرفني فأتى إلي وقال: أنت دفعت عني الحساب؟! قلت: نعم،

قال: أنا فلان الفلاني ولكني مع المعذرة لا أعرفك، قلت: وأنا لا أعرفك، لكني فرحت لك لأنك تأكل بشهية وراحة فأحببت أن أقدم لك هدية.

ذكروا بأن الإمام الحاكم أصيب بمرض في وجه وعالجه سنة فلم يبرأ، فحَدَّث شيخه بالأمر فقال: لو دعوت لي في مجلسك العام، فلما انتهى الشيخ من الدرس دعا للإمام الحاكم وأَمَّن الحاضرون، فلما كان من الأسبوع القادم جاءت امرأة وألقت على كرسي الشيخ ورقة مكتوب فيها: أنها في الليلة التي دعا فيها الشيخ للحاكم مضت إلى بيتها وصَلَّت من قيام الليل ودعت للإمام الحاكم، فرأت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لها: قولي للشيخ أن يقول للحاكم أن يسقي الماء فقال الشيخ للحاكم هذا الكلام، فجعل الإمام الحاكم على بيته جداراً وجعل فيه الماء وألقى فيه الجمد (الثلج)، وجعل المارة يشربون، فما مضى أسبوع إلا وقد شفاه الله تعالى.

نحن الآن في أزمة حقيقية وكلكم صار يعرف بها وإطعام الطعام له فضيلة عامة والآن هناك فضيلة خاصة.

أكرمنا الله في جمعية البركة بأن هناك شهرياً وجبات غذائية لهذه الأسر المتضررة، فإذا كنت قريباً من هذه الأسر وأوصلت لهم الطعام فهو أفضل، لكن إذا كنت بعيداً عنهم أو أن المبلغ المالي بسيط فيمكن أن تجعله مع هذا العمل الجماعي فيكون فيه الخير الكبير لعدد كبير من الناس.

أحياناً أحد الشباب يقول: أنا لدي مشكلة بنفسي الأمَّارة بالسوء فهي تغلبني، أقول لك: إطعام الطعام يعينك في هذا الأمر.

أحياناً يقول إنسان: صلاتي لا أضبطها مع أنني أتعارك مع نفسي، أقول لك: إطعام الطعام يساعدك في هذا الأمر.

حتى الآباء أو الأمهات عندما تأخذ طعاماً لأولادك استحضر النية، لأنك تطعم هؤلاء الأولاد وهم بحاجة إليك فعندما تطعمهم الطعام استحضر نية التقرب إلى الله تعالى بأنك تريد أن تخدم هذه الأسرة تقرباً إلى الله تعالى.

﴿ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ .

هل هناك شيء في هذه الكلمات الثلاث يثير اهتمامكم؟

الآية تقول: ﴿ وَأَسِيرًا ﴾ .

الأسير: رجل حربي مقاتل كان يقاتل ضد الجيش الإسلامي والدولة الإسلامية، ولعله يكون عابد بقر، أو وثن، أو حجر، أو لا ديني، أو عابد نار، وربما يكون ليس كذلك، فالمسلم يتقرب إلى الله تعالى بإطعام الأسير.

في هذه الأزمة تسمعون بأن أناساً يتسلطون على بعض أبناء جلدتهم وبلدهم، يريدون أن يقطعوا عنهم الأكسجين إن استطاعوا، ويتفننون في تعذيبهم وإيذائهم.

هذا التفلت من الدين وهذا الكفر هذا يسمى كفراً لأن الإنسان بدون اتباع أمر الله يتصرف تصرفات لا تفعلها الوحوش، لكن الإنسان بالشكر يصبح حتى مع من يعبد الحجر يتقرب إلى الله بإطعامه الطعام.

يروى قصة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام –وكان يكنى أبا الضيفان– أنه كان لا يأكل وحده وربما يمشي ميلاً ليأكل معه إنسان، فجاءه رجل يطلب منه طعاماً، فقال له إبراهيم: أمؤمن بربي أنت؟ قال: لا، قال: إذن لا أطعمك، فقال الله له: عبدي من عبيدي استطعمك مرة ما أطعمته وأنا من سبعين سنة أطعمه وهو يكفر بيظ؟!

المسلم يعلمه الإسلام كيف يصير إيجابياً مع الناس، بل كيف ينزع عداوة الناس،

عن أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟))، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: ((مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)) فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: ((أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ))، فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لَا.. وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ**

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [البخاري ومسلم].

هناك نقطة هذا الذي يقوم به الإسلام ليس تكتيكاً سياسياً فيتظاهرون لشخص معين بالإكرام والمودة والمحبة، لكن لديه خطة فإذا اختلفت الخطة يهملوه أو يقتلوه، لكن أعمال المسلم كلها مرتبطة برب العالمين ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ لا نريد مديحكم، ولا ترشيحكم بالانتخابات القادمة، ولا نعطيكم المال لتدعمونا، إنما نطعمكم لوجه الله.

إذا توحد الهدف اجتمع الناس، لكن إذا اختلفت الأهداف تناحر الناس؛ لذلك قال الله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، [آل عمران: 103] وبغير حبل الله لا يعتصم الناس، لأنه بحبل الشرق فإن الغربيين لا يعجبهم، وبحبل الغرب فإن الشرقيين لا يعجبهم، وبحبل المال فإن الفقراء لا يعجبهم، وبحبل الفقر فإن الأغنياء لا يعجبهم... أما حبل الله فالله رب العالمين يجمع.

إذا توحد الهدف اجتمع الناس؛ لذلك نحن الجالسين باستمرار أخلصوا نواياكم لله في كل أعمالكم لأن نوايانا إذا التقت في هدف واحد فسنجتمع ولو كانت أشكالنا مختلفة، وألواننا مختلفة، وألسنتنا مختلفة، فسنجتمع ما دام قصدنا **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**.

﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾

قال العلماء: يقولون ذلك بألسنتهم.

وقال ابن عباس: (**كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا**)، أي لا يقول بلسانه لكنه بقلبه لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً.

لديه عامل سيقيم حفلة زفافه فقام بمساعدته، ففي ذلك تكتيك إدارة الأعمال، فإذا ساعدت عاملك كسبت ولاءه للشركة، فقم بمساعدته عند حاجته، لأجل أن يدعم شركتك وبالتالي تربح المال، فيقوم بمساعدته لهدف أخفاه لكن في الإسلام ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾.

فهذا الذي لديه خطة إدارية إذا ساعده المدير وبعد سنة قدم الموظف استقالته فإن خطته ذهبت فيُوجد له مائة أمر ليستعيد ما دفعه له، فلا يعطيه تعويض نهاية الخدمة، ويقول عليك ذمم يرتب عليك دفعها، أنت استخدمت جوال الشركة لمصلحتك... أما لو كان يفعل لوجه الله لما فعل ذلك.

وبالطبع بالمقابل العامل الذي يعمل لوجه الله يكون شاكراً لمن خدمه فإذا توحد الهدف نلتقي مع بعضنا البعض.

عن مجاهد قال: **(أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله جل ثناؤه منهم فأثنى به عليهم)**

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين.